البريد المصري عبر العصور

إعداد

أ.د/ مجدى عبد الجواد علوان عثمان

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية
وكيل كلية الآداب – جامعة أسيوط

البريد لغة واصطلاحاً:

البريد لغةً معناه مسافة معلومة مقدرة باثنى عشر ميلاً، قَّدره العلماء بأنه أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع هاشمى، وبتقدير تلك المسافة حسب الذراع الهاشمى والمعروف بقيمته في وحدات القياس العربية بأنه يساوى 66.5سم، فإن البريد كمسافة معلومة يساوى 24 كيلو متر.

والخلاصة في ذلك أن لفظة بريد فارسية معربة من المصدر الفارسي " بَريدَن" بمعنى"حمل الرسائل"، حيث كانت الرسائل تحمل قديماً على الدواب المخصصة لذلك، وعندما دخل هذا اللفظ اللغة العربية أصبح معناة " بريد رسول" ويعني حامل الرسائل لمسافة تبلغ أربعة فراسخ أو ما يساوى24 كيلومتر.

تنظيم البريد عبر العصور الإسلامية:

من الثابت أن المسلمين حينما فتحوا البلاد التي دخلها الإسلام أبقوا النظم الإدارية على ما هي عليه، حتى تم تعريب الديوان في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكان البريد موجوداً ومستعملاً قبل ذلك في عهد أكاسرة الفرس وأباطرة الروم، وقيل أن أول من وضعه في الإسلام هو الخليفة معاوية بن أبى سفيان حينما استقرت له الخلافة.

وعُنى بالبريد إبان عصر الدولة الأموية أيما عناية حتى قيل عن عبد الملك بن مروان بعد أن أحكم البريد وضبطه " ربما أفسد على القوم تدبير سنة حبسهم البريد ساعة ".

وظل الأمر كذلك حتى مجيىء الدولة العباسية حيث أهمل البريد كنظام، حتى عهد الخليفة هارون الرشيد الذى أمر بإجراء البريد وإعادة ترتيبه على ما كان عليه إبان عصر الأمويين، ولم يزل البريد مستقراً بمصر والشام حتى مجيىء

التتار وغزوهم دمشق وتخريبها وحرقها فكان ذلك سبباً لتدهور أحوال البريد في الشام، ثم أعيد تنظيمه مرة أخرى في العصر دولة المماليك ، وكانت دمشق والقاهرة مركزين أساسيين للبريد تفرعت منهما عديد من خطوط البريد لكافة المدن المصرية والشامية ساعد على ذلك اختصاص ديوان الانشاء بإدارة أعمال البريد

حمام البريد :

كان للبريد سبل اتصال متنوعه في العصور الوسطى، كان أبرزها حمام البريد أو الحمام الزاجل، أوما يسمى بالحمام الهوادى لقدرته العجيبة على الاهتداء إلى عشه، وعرف أيضاً باسم " ملائكة الملوك "، وهو نوع من الحمام يرسل إلى مسافات بعيدة محملاً بالرسائل لذلك عرف أيضاً بالحمام الرسائلى، وشهرته الحمام الزَاجِل، والمَزْجل، الموضع الذى يرسل منه حمام الزاجل وهو الذى يتخذه الملوك لحمل المكاتبات، وأفرد له القلقشندى باباً خاصاً في موسوعة صبح الأعشى تناول فيه نوع هذا الحمام ومظاهر الاعتناء به وخصائصه.

وكان يطلق على الرسائل التي تعلق في أجنحة الحمام اسم " البطائق " ومفردها بطاقة، وللتأكد من وصول الرسالة الى الجهة المراد إرسالها إليه اتخذت بعض الاحتياطات في شكل الرسالة ومضمونها، فكانت تكتب من نسختين وتتضمن شفرة معينة، وترسل بالحمامة على دفعتين متباعدتين بينهما حوالى ساعة من الوقت حتى إذا قتلت إحدى الحمامتين أو افترستها الطيور والجوارح أو وقعت في أيدى الأعداء أمكن وصول الحمامة الأخرى، وجرت العادة ألا تطلق الحمامة في الجو الممطر ولا قبل تغذيتها الغذاء الكافي، وكان يطلق عل الشخص الذى يهتم بإعداد البطائق واستلامها من الحمام اسم " البَرَّاج "، وكان للسلطان حمام رسائلي أو زاجل له علامات مميزة كبصم منقاره ببصمات خاصه، أو قص

ريشه بطريقة معينه، وكان تحت إمرته عدد كبير من الحمام مما أتاح له الاتصال بسائر الولايات.

البريديون :

كان لعمال البريد شارات يحملونها، تعلق في رقابهم، وهى عبارة عن قطعة معدنية من الفضة أو النحاس للدلالة على وظيفتهم نقش عليها كتابه في الوجه والظهر بخط الثلث، مثل كتابات السكة.

البريد في عصر محمد علي:

بدأت إرهاصات تنظيم البريد في العصر الحديث في مصر أثناء وجود الحملة الفرنسية 1213 – 1216هـ / 1798 – 1801م خصوصاً أثناء مقاومتها لثورات الصعيد، حيث رأى الجنرال (ديزيه) وهو في جرجا أن ينظم البريد بين الحاميات الفرنسية ليجعل بينها اتصالاً مستمراً يقيها شر المفاجئات، وأسند مهمة حملة البريد لفرسان مسلحين يقطعون مراحل محدودة ويتغيرون عند كل مرحلة إلى أن تصل الرسائل الى الجهة المقصودة، وأمر أن يسافر البريد كل يوم من جرجا حتى يصل إلى قنا، وقسم المسافة بينهما الى عدة مراحل، وطلب ديزيه من مساعده بليار أن ينظم البريد على هذه الطريقة من قنا إلى إسنا، وكلفه أن يأمر قائمقام كل بندر أن يكون مستعداً لنقل البريد يومياً في منطقته.

عوامل إنشاء مصلحة البريد المصرية :

أنشئت مصلحة البريد بمقرها وموقعها الحاليين في عهد الخديوى إسماعيل، وأصبح بذلك للبريد مصلحة إدارية منظمة، وأراد إسماعيل أن يجعل من مصلحة البريد إدارة منظمة لتيسر له الاتصال المحلي والدولي لمواكبة ما كان يقوم به من مشروعات وإصلاحات تعتمد على الاتصالات والمراسلات لما تتسم به هذه

المشروعات من سرعة التنفيذ، وتعتبر مصلحة البريد إحدى الثمار الناجحة والنتاج الفاعل لجهود الخديوي إسماعيل في أعمال العمران التي تمت في عهده، من فتح الترع وشق القنوات وإقامة الجسور، واستحداث مصانع السكر وإصلاح القناطر الخيرية وإنشاء السكك الحديدية والكباري، وتنظيم الشوارع والميادين واستحداث الحدائق والمتنزهات، وإدخال عدة مبان ذات طرز أوروبية وافدة في القاهرة والإسكندرية وظهور المسارح ودار الأوبرا، وبصفة عامة تعمير المدن وتخطيطها وتنظيمها وذلك كله لمواكبة ما تأثر به إسماعيل نفسه أثناء زياراته المتعددة لأوروبا

وكان للجاليات الأوربية في القاهرة والإسكندرية آنذاك مكاتب صغيرة للبريد يشرف عليها طائفة من الأجانب المتمرسين في هذا المجال، منهم الإيطالي" كار لو ميراتى"، وابن أخته تيتوكينى وصديقه " جياكومو موتسى " موتسى بك فيما بعد "، وكان موتسى بارعاً في إدارة حركة البريد واستطاع أن ينشىء البوستة الأوروبية Posta Europea من سنة 1273هـ/ 1856م إلى سنة 1281هـ/ 1864م .

وازدادت أهمية البوستة الأوربية وزاد نشاطها بعد افتتاح خط السكك الحديدية، وحازت على ثقة الجمهورمن الأجانب والمصريين، وأدى هذا التطور في المرافق الخدمية الأوربية خصوصاً البريد إلى جعل الخديوى إسماعيل يفكر في الاستفادة من مظاهر هذا التطور، ونظرا لعلاقة الخديوى إسماعيل بتلك الجاليات ورغبته في تحديث مصر وتمدينها وتطويرها فقد أراد إنشاء مصلحة بريد مصرية ومقرها القاهرة تكون فرعاً من فروع الحكومة ولها إدارة منظمة ومختصة وتعنى بمصالح طبقات الشعب المختلفة، والمصالح الحكومية المتعددة ، فاهتم بشراء البوستة الأوربية والتي آلت ملكيتها إلى الحكومة المصرية، وأُقيم للبريد مبنى خاص به في سنة 1282هـ/ 1865م وأصبحت له مصلحة حكومية خاصة به، وأطلق عليه اسم " البوستة المصرية العمومية "، وطبع أول طابع بريد يحمل اسم "

بوستت مصر سنة 1282هـ/1866م"، وعين الخديوى إسماعيل المسيو (موتسى) مديراً لها وصارت إدارة مصرية تابعة للحكومة وذلك في يناير سنة 1281هـ/1865م .

واختص من مصلحة البريد ما يعرف " بالبوستة الخديوية " التي تختص بمراسلات الخاصة الخديوية وكان لها وسائل انتقال خاصة بها وهى " وابورات البوستة الخديوية " كان يرأسها المسيو" فريدريكو " أما البريد الخاص بالشعب وباقى المصالح الحكومية فكانت تستخدم فيه وسائل أخرى مثل المركبات والخيول، والتي خصص لها اسطبل ملحق بمبنى البريد.

موقع مبنى مصلحة البريد :

استقطعت من ميدان الأزبكية منطقة عرفت " بالعتبة الخضراء " أنشئت فيها عدة مبان حكومية من بينها مبنى البريد موضع الدراسة في شارع طاهر ، واستغرق بنائه حتى وصل للهيئة التي عليها ثلاث سنوات منذ سنة 1282هـ/ 1865م وحتى سنة 1285هـ/ 1868 م، وكان موضعه مسرحاً من المسارح الحديثة الذى أنشأته الجاليات الأوربية في هذه المنطقة وكان يعرف بمسرح الكوميدى فرانسيز ، وكان يجاوره من الناحية الشمالية مبنى المحاكم المختلطة وموضعه الآن مساحة فضاء يفصلهما شارع طاهر، ويجاوره من الناحية الغربية مبنى صندوق الدين العمومي الذى حل محله مبنى مديرية الصحة حالياً يفصلهما شارع البيدق، ويجاوره من الجهة الشمالية ميدان أزبك ومبنى الأوبرا الخديوية الذى حل محله المسرح القومي وجراج العتبة ويفصلهما شارع طاهر، ويجاوره من الناحية الشمالية الشرقية مبنى المطافيء ويفصلهما شارع البوسته الجديدة .

فضلاً عن ذلك فقد كان يوجد في الحد الشرقى من ميدان حديقة الأزبكية بعض مبانى سفارات وقنصليات الدول الأوربية المختلفة منها القنصلية اليونانية،

الهولندية، النمساوية، الإيطالية، والسويدية، والبرتغالية، والإنجليزية والروسية، بالإضافة إلى بعض الفنادق الكبرى منها فندق سيفان بينينز وفندق أوروبا وفندق السفراء.

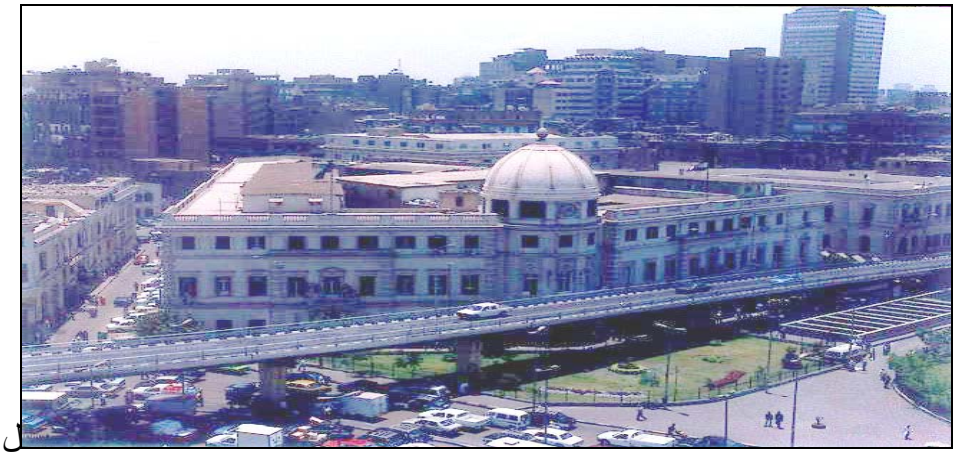

لوحة (1) منظر عام لمبنى البريد بالعتبة

لوحة (2) الواجهة الجنوبية الغربية

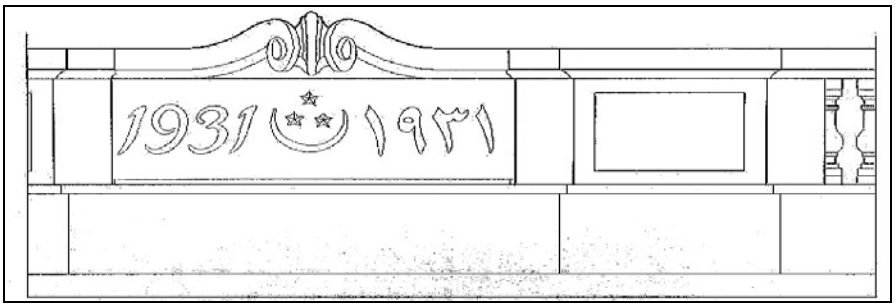

شكل (1) تفاصيل الكتابة التسجيلية بالدروة العليا للقسم الشمالى من الواجهة البحرية

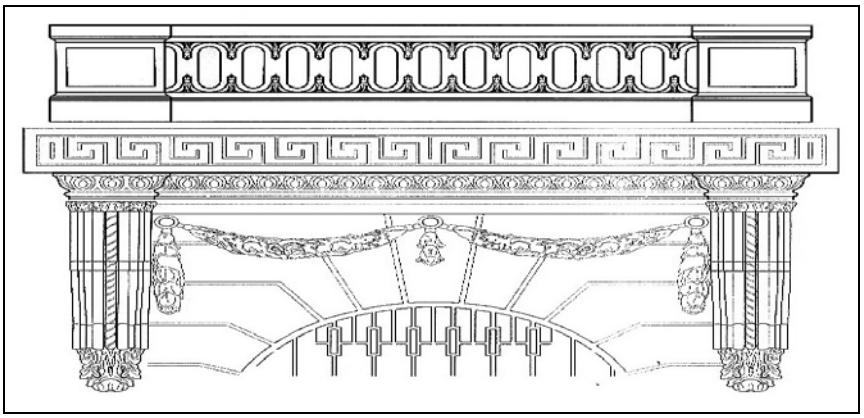

شكل (2) تفاصيل الكوابيل والكرانيش الحجرية أسفل الشرفة وأعلى المدخل بالبرج الرئيسى من الواجهة البحرية

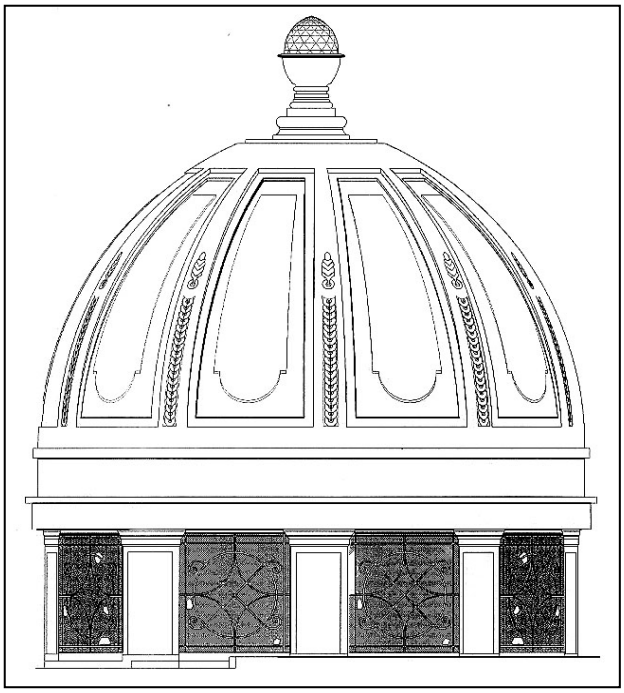

شكل (3) قطاع رأسى للقبة المركزية المتوجه للبرج الرئيسى للواجهة البحرية